[سورة يس: ثلاث وثمانون آية][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)﴾

الكلام فيه كما في سائر الفواتح، وقيل: بلغة طي معناه: يا إنسان، وعن ابن الحنفية[2]: يا محمد [3]، وأبو العالية [4]: يا رجل [5]، وقيل: يا سيد، وما قيل: إن أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره مثل: أيم الله من أيمن الله لكثرة النداء، فإثبات اللغة بمجرد الظن فلا عبرة به.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج، ح)، ليست في الأصل ولا في باقي النسح.

(٢) هو: محمد بن علي بن أبي طالب ، أخو الحسن والحسين لأبيهما، وأمه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق، وهي خولة بنت جعفر الحنفية ، ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر ، مات سنة إحدى وثمانين في المحرم، وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في دلائل النبوة، كما في الدر المنثور (٣١٩/١٢).

(٤) هو: رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ﵁، وحفظ القرآن، وقرأه على أبي بن كعب ، وتصدر لإفادة العلم ، مات في شوال سنة تسعين ، وقيل: مات سنة ثلاث وتسعين . ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٧/٧).

روي عن النبي ﷺ أنها المعِمَّة قيل: وما[1] المعِمَّة؟ قال: ((**يعم صاحبها خير الدنيا والآخرة، وتسمى الدافعة والقاضية؛ لدفعها كل سوء، وقضائها كل حاجة**))[2].

وحركتها بالفتح إن كانت بنائية فمثل كيفَ، وإعرابية على تقديرٍ [3]، وبالكسر كجيرِ[4]، وبالرفع: هذه ياسينُ، وبالضمِّ كحيثُ، وجاء في ألفها التفخيم والإمالة.

أقسم سبحانه بالقرآن الموصوف بأنه ذو الحكمة، أو ناطقٌ بها، أو وُصِفَ بصفة المتكلم بها، أو حاكم، أو الذي أحكمَه الله، كالسعيد للذي أسعده الله، ﴿إِنَّكَ﴾ جواب القسم، رُدَّ به لست مرسلًا، ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ صِفة ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ويجوز جعلُه خبرَ (إنّ)، والمقصود على الوجهين وصفُ النبيِّ ﷺ ووصفُ دينه في سِلكٍ واحدٍ، لا الاحتراز عن مُرسَل ليس على صراطٍ مستقيم، والتنكيرُ يدلُّ على التعظيمِ.

و﴿تَنزِيلَ﴾ بالنصب على المصدر، أي: نزّله تنزيلًا، أو: أعني، ويقرأ بالرفع [5] على خبرِ محذوفٍ، وقيل: خبرٌ ثالثٌ، وبالجر[6] بدلًا عن القرآن.

---

(١) في الأصل: (ما) بدون الواو، والمثبت من (أ، ح).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٦٥) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، وقال: "منكر"، وكذا قال ابن حجر في اللسان (١٧٥/٤)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٢٦٠). ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٩٢/٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: "إسناده باطل"، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٤٠١/١)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٠١).

(٣) أي: على تقدير: اذكر ياسينَ، أو: اتلُ ياسينَ.

(٤) (جَيرِ) حرف جواب بمعنى نعم، ويمين بمعنى حقًّا، يقال: جيرِ لا أفعل. ينظر: المعجم الوسيط (ص١٧١).

(٥) الرفع هو قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر عن عاصم ويعقوب، والنصب هو قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٦٩).

(٦) عن اليزيدي وأبي حياة وقربي الشامي. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٨).

فإن قيل: ما وجهُ مناسبةِ العزيز الرحيمِ بما سبق؟ وهلَّا ورد نحو العليم والحكيم؟!

قلنا: يجري مجرى الدليل على إنزال القرآن الحكيم، وفيه الإيماء إلى حفظه عن وقوع الزيغِ فيه، وأنَّه لا يُبطله جَور جائرٍ، وأنه يهدِي به عن الضلالِ؛ لأنَّ الغالبَ الذي لا يُغلب قادرٌ على كلِّ شيء، وبرحمته أنزلَ كتابًا حكيمًا، هدى به الخلقَ إلى مصالح دينِهم ودنياهم.

و﴿ لِتُنذِرَ ﴾ علّةُ الإرسال. ولقائل أن يقول: جاز أن يكون علَّةَ التنزيل، أي: نزَّل القرآن لتُنذرَ به.

والأكثرُ على أنَّ ﴿ مَّآ ﴾ نافيةٌ، فوُصفوا بأنّه ما أنذَر الرسُلُ إيّاهم حيث كانوا في زمن الفَترة، وإن جُعِل ﴿ مَّآ ﴾ مصدريّةً على تقدير: إنذار آبائهم، أي: تنذر إنذارًا كإنذار آبائهم، أو موصولةً على أنها مفعولٌ ثان لـ(تنذر)، ففيه إثباتُ الإنذار.

وعلى الأوَّل الغافلون: الآباءُ، وعدمُ الإنذار سببُ الغفلةِ، وهي: ذهاب العنى [1] عن النفس، وفي النسيانِ يكونُ مسبوقًا بحضُوره.

و﴿ عَلَىٰ ﴾ متعلّقٌ بالإرسال كما سبَق، ولم يلزمْ أن يكونوا منذَرين بهذه الآيةِ على الثاني غيرَ منذَرين بالآي الأُخَر؛ لأنها وردَت في نفيِ إنذارهم، لا نفيِ إنذارِ آبائهم، وأيضًا كونُ آبائهم منذَرين لا يُنافي كونَهم غيرَ منذَرين لإرادةِ الأباعِد بالإنذارِ، وذكره على وجهِ الإقسامِ مع أنَّ المنكِر يُذكَر معه على وجهِ البرهان أنَّ المقصودَ الإصغاءُ إليه؛ فإنَّ اليمينَ أمرٌ عظيم عند العرب أيضًا، والفاجرةُ تورِث خرابَ الديار، فالقرآنُ معجِزٌ في نفسه، وهو البرهانُ على الإرسالِ، وذكره على الإقسام للإصغاء إليه باديَ الرأي.

(١) كذا في الأصل و(أ، ح، ب، ج)، وفي: (ن، د): (الغنى)، وهو تحريف، وصوابه: المعنى. ينظر: رسالة اللباب للكرماني ٢/١٢١٢، [تحقيق إبراهيم الدومري].

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ ﴾

القول هو قوله سبحانه: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ [هود: ١١٩]، أي: ثبت هذا القول عليهم لإصرارهم على الكفرِ من غيرِ رجوعٍ. وقيل: هو مثل: حقت عليه كلمة العذاب. [٧٤٤/أ]

الغَلّ: قيل: بجمع اليمين إلى [1] العنق. والقَمْح: الذي يرفع رأسه ويغضُّ بصره، وعلى الشّقِّ الأول يقال: قمح البعير إذا رَوي فرفع رأسه، والمعنى: أنهم في عدم الالتفاتِ إلى الحقِّ كمن بَيْن سدَّين، لا يرى ما خَلفه وقُدّامه، فلا يتفكَّرون في آيات الله.

ومعنى ﴿ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾: أنَّ الأغلال تصِل إلى أذقانهم؛ لأنَّ طوق الغلِّ الذي في العنق يكون في ملتقى طرفَيه تحت ذقن المغلول -وهو مَجمع اللَّحيَين- حلقةً فيها رأس العمود بادرًا[2] من الحلقة إلى الذقن، فيمنعه عن أن يطأطِئ رأسَه ويوطئ قذاله[3] فيكون مقمحًا.

وقيل: الضميرُ للأيدي، أو الأيمان؛ لدلالة الغَلّ عليها، والإضمارُ وإن كان خلافَ الأصل، لكن حيث يقرأ: ﴿ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾[4] و﴿ فِىٓ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾[5] يكون قرينة أخرى.

عن عكرمة: أن الأغلال ضلالات[6] وظلمات كانوا فيها [1]. ولا يمتَنع أن يكونَ حكاية حالهم في الآخرة.

---

(١) في (أ، ح، ب، ج، د): (على).

(٢) كذا في الأصل وسائر النسخ، وضُرب في الأصل على حرف الدال، وكُتِب تحته حرف الراء، ثم وُضِعت نقطة على الراء الثانية، لتصبح الكلمة: (بارزًا)، وفي طبعة الكشاف: (نادرا)، وكلها تلتقي في معنى الخروج، أي: رأس العمود خارج من الحلقة إلى الذقن. والله أعلم.

(٣) القذال: جماع مؤخّر الرأس من الإنسان والفرس. ينظر: المعجم الوسيط (ص٧٥٦).

(٤) ذكرها الزجاج في معاني القرآن (٢٧٩/٤). وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤١٣/١٧).

(٥) عن ابن عباس وابن مسعود والأعمش. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٨).

(٦) في (أ، ب، ج، د، ن): (خلالات)، وهو تصحيف.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ ﴾

هذا من إتمام الأغلال، فإنَّ السدَّ من جملةِ الموانع، وقرئ بالضم [٢]، وهما لغتان، وقيل: بالفتح ما كان من عمل الناس، وقيل: هو المصدر، وبالضم الاسم.

ومعنى (أغشينا): غطَّينا أبصارَهم عن أن ينظُروا إلى شيء، وقيل: أكسَيناها [٣] غشاوة، ويقرأ بغير المعجمة[٤] من العَشى[٥].

قيل: نزلت في رجل من بني مخزوم؛ لأنَّ أبا جهل حلف لئن يرى النبيَّ ﷺ يصلي ليرضخنَّه بالحجارة، فأتاه وهو يصلِّي، ومعه حجَرٌ ليدمَغه، فلمَّا رفع يدَه أُثبِتت إلى عنقه، ولزق الحجَر بيدِه حتى فكُّوه عنها بجهدٍ، فرجع إلى قومه فأخبرهم، فقال مخزوميٌّ آخر: أنا أقتُلُه بهذا الحجر، فأعمى الله عينَه، فجعل يسمَع صوتَه ولا يراهُ، فرجع إلى قومِه فلم يرَهم حتَّى نادَوه، فقال: ما رأيتُه، وحال بَيني وبينه كهيئةِ الفحلِ يخطُر بيني وبينه، لو دنوتُ منه لأكلني[٦].

=

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٨/١٢١).

(٢) قرأ بالضم ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب، وقرأ بالفتح حمزة والكسائي وحفص عن عاصم. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٢٨٣).

(٣) في (أ، ب، ج، ح، د): (اكتسيناها)، وفي (د): (اكتساها).

(٤) أي: ﴿أَعْشَيْنَاهُمْ﴾. عن ابن عباس وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والحسن وأبي رجاء. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٨).

(٥) قال الطبري في تفسيره (١٩/٤٠٧): "العشى بالليل، وهو أن يمشي بالليل ولا يبصر".

(٦) رواه ابن إسحاق في السيرة (١/٢٩٨ -سيرة ابن هشام-)، والطبري في تفسيره (١٩/٤٠٦) مختصرًا، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٥٢، ١٥٣، ١٥٦). وينظر: معالم التنزيل (٧/٨).

والمراد بمن يتَّبع الذكر وينفع[1] فيه الإنذار غير هؤلاء المنذَرين، فإنَّه قد علم عدم إيمانهم مع ثبوتِ الإنذار، بل هم المتَّبعون للقرآن، الذين يخشَون ربَّهم غائبين عن عقابِ الله. والمرادُ: العلماءُ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. وفي جَعل المخشيِّ الرحمنَ، مع أنَّ الرحمةَ تقتضي الرجاءَ إشارةٌ إلى معنيَين:

أحدهما: أنه يخشى أن يقطع عنه نِعمتَه.

والثاني: أنه قال: وارجُوا الله؛ ليُعلمَ أنَّه يُخشَى منه مع الرحمة، ويُرجى مع كونِه ذا هَيبةٍ.

ولقائلٍ أن يقولَ: والأولى على المبالغة فِيها. والأجرُ الكريم: الجنةُ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

لما ذكر النذارةَ والبشارةَ بأمرين بعدَ الحشر ذكر الإحياء، و ﴿نَحْنُ﴾ يحتمل على أنه على طريقةِ: أنا أبو النجم[2]؛ لأنَّ مَن لا يُعرف إذا سُئل عنه عرَّف نفسَه بأنّه ابن فلان مثلًا، وإذا كان مشهورًا وسئِل قال: أنا، أي: لا مُعرّفَ لي أظهر مِن نفسي، فكأنَّه قال: إنَّا نحن الموصوفون بأصنافِ الكمال.

وفيه الإشارةُ إلى التوحيدِ، فإنّه لا التباسَ بالغَير ليُميَّز بغير ما يدلُّ على تلكَ الذات.

وأحياهم بالبعثِ بعد الموت، وقيل: بالإيمان بعد الشرك.

(١) في (ح): (من ينفع).

(٢) يشير إلى قول أبي النجم العجلي:

أنا أبو النجم وشعري شعري *** لله درّي مما يُجنُّ صدري

ومعناه أنّ شعري قد بلغ من الكمال والفصاحة إلى حيث متى قيل: إنه شعري، فقد انتهى مدحه إلى الغاية التي لا يزاد عليها. والمقصود على هذا أن ﴿إِنَّا﴾ مبتدأ، و ﴿نَحْنُ﴾ خبر. ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٧/٤٣٩، ١٦/١٧٧).

و﴿مَا قَدَّمُوا﴾ هي أعمالُهم، وقيل: بقاءُ آثارِها بعدَ موتهم من صالحاتِ الأعمال التي قدَّموها في الحياة، كالتصانيفِ وتعليمِ الناسِ والوقوفِ والقناطرِ والرِّبطِ، وكذا نقائضُها من العُشورات، ورُسوم الظُّلم، والوظائف التي يوظِّفها الظلمةُ على المسلمِين، والملاهي المحرَّمة المشغِلَة عن الله، ويشمَلها السُّنَّة الحسنةُ والسيِّئة المذكورتان في الخبر [1]. وقيل: آثار المشَّائين إلى المساجد، ويمكن الاستئناس بهذا الخبر، وهو أنَّه قال النبيُّ ﷺ: ((**بشِّر**[2] **المشّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التامِّ يوم القيامة**))[3]، وقال: ((**بني سَلِمة، دياركم تُكتَب آثارُكم**))[4]، قال لهم لَـمَّا[5] أرادوا التحوُّل إلى قرب المسجد[6].

والإمام: اللَّوحُ، وقيل: غيرُه، وعلى الوجهين التَّسميةُ باعتبار أنَّ الملائكة تتبعُهما لما كتب فيهما. والإحصاء: أبلغ من الكتابة. والمبين: المظهر للملائكة أحوال الخلائق وغيرها، ويقرأ: ﴿يُكْتَبُ﴾ بالمجهول[7]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾[8].

---

(١) كذا في (ن)، وفي الأصل وبقية النسخ : (الخير)، وهو تصحيف. والمقصود بالخبر قوله ﷺ: ((**من سنَّ في الإسلام سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**))، أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير رضي الله عنه.

(٢) في الأصل و(أ، ب، ح، د): (أبشر)، وهو تصحيف، والتصويب من (ج، ن).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، وقال الترمذي: "حديث غريب"، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٥).

(٤) أخرجه مسلم (٦٦١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) كذا في (ن)، وفي الأصل وبقية النسخ (ما) بدون اللام.

(٦) في (ج): (أقرب المساجد).

(٧) عن زر وابن مسروق. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٨).

(٨) عن أبي السمال وابن أبي عبلة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٨).

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ۝١٤﴾

أي: مثلًا لهم، يقال: عندي من هذا الضَّرب، أي: من هذا المثال، أي: أُذكِّرهم قصَّةً عجيبة هي قصَّة أهل أنطاكية، و﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ بالنَّظر إلى المضافِ المحذوف، وهو مثلُ بيانٍ للأول، كانوا عبدَةَ أوثان، أرسلَ عيسى إليهمُ اثنين، فرأيا بقُربِ المدينة شيخًا يرعَى غنمًا له، وهو حبيب النَّجار (١) صاحِب ياسين، فسألهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نعم، نشفي المريض ونُبرئ الأكمهَ والأبرصَ، وكان له ولدٌ مريضٌ من سِنين، فمسحاه فقامَ، فآمَن حبيبٌ، وفشَا الخبر، فشُفِي على أيديهما خلقٌ كثير، ورقى حديثُهما إلى الملك، وقال [٧٤٤/ب] لهما: أَلَنا إلهٌ سِوى آلهتنا؟ فقالا: نعم، من أوجَدك وآلهتَك، فقال: حتى أنظرَ في أمركما، فتبعهما الناسُ، وضربوهما، وقيل: حُبِسا، وبعث عيسى عليه السلام شمعون، فدَخل متنكِّرًا، وعاشر حاشيةَ الملك، حتى استأنَسوا به، ورفَعوا خبرَه إلى الملك، فأنس به، فقال ذات يومٍ: بلغني أنَّك حبستَ رَجلين، فهل سمعتَ ما يقولانِه؟ قال: حال الغضَب بيني وبين ذلِك، فدعاهما، فقال شمعون: مَن أرسلَكما؟ قالا: اللهُ الذي خلَق كلَّ شيءٍ، وليس له شريكٌ، فقال: صِفاه وأوجِزا، قالا: يفعَل ما يشاءُ ويحكُم ما يريد، قال: وما آيتُكما؟ قال: ما يتمنَّى(٢) الملك، فدعا بغلامٍ مطموس العينَين، فدعَوَا الله حتى انشقَّ له بصر (٣)، وأخذا

(١) هو: حبيب النجار، كان يسكن أنطاكية من أرض الشام، وآمن بالرسل الذين أرسلهم عيسى عليه السلام إلى ملك أنطاكية، وقيل: هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس:٢٠، ٢١]، والله أعلم. ينظر: مروج الذهب ١/٢٢.

(٢) في الأصل و(أ، ب): (ينهى)، وهو تحريف، والتصويب من (ن). واللفظة ساقطة في (ح، ج، د).

(٣) في (أ، ج، د): (انشق أبصر)، وفي (ب): (انشق وأبصر).

بَنْدَقَتين فوضعاهما في حدقتيه، فكانا [١] مقلتَين ينظر بهما، فقال شمعون: أرأيتَ لو سألتَ إلهك حتى يصنَع مثلَ هذا فيكون لك وله الشَّرفُ؟ قال: ليس عنك سِرٌّ أنَّ آلهتنا لا تَسمَع ولا تُبصِر ولا تضرُّ ولا تنفع، ثم قال: إن قدِر إلهكما على إحياء ميِّت آمنّا به، فدعَوَا بغلامٍ ماتَ من سبعةِ أيام، فقام فقال: إني أُدخلت في سبعة أودية من النّار، وأنا أحذِّرُكم ما أنتم فيه، فآمِنوا، وقال: فتحت أبواب السماء فرأيتُ شابًّا حسَنَ الوجه، يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومَن هم؟ قال: هؤلاء الثلاثة، فتعجَّب الملك، فلمَّا رأى سمعه [٢] أثر نُصحِهِ فيه [نَصحَه][٣]، فآمن وآمَن قومُه، ومن لم يؤمِن صاحَ عليهم جبريلُ صيحة فهلكوا[٤].

﴿ فَعَزَّزْنَا ﴾ أي: قَوَّينا بثالث، هو شمعون. ويقرأ بالتخفيف [٥]، يُقال: عزه يعزه إذا غلبه. وإنما لم يذكر المعزَّز لأنَّ المقصودَ ذِكرُ المعزَّز به، وحُسن تدبيرِه الذي ظهَر الحقُّ على الباطل.

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

أي: قال أصحابُ القرية لرسُل عيسى عليه السلام: أنتُم لا تصلُحون للرِّسالة[٦] كما لا نصلُح لها.

---

(١) كذا في الأصل و(أ، ب)، وفي (ح، ج، د): (فكأنهما)، وفي (ن): (فكانتا).

(٢) كذا في الأصل وسائر النسخ، وهي مصحَّفة من (شمعون). ينظر: الكشف والبيان (٨/١٢٥).

(٣) زيادة من (ن)، ليست في الأصل ولا في بقية النسخ.

(٤) ينظر: الكشف والبيان (٨/١٢٤-١٢٥).

(٥) هي قراءة عاصم في رواية أبي بكر. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٦٩).

(٦) في (ح): (للرئاسة).

ولم تعمَل ﴿مَآ﴾ في ﴿بَشَرٌ﴾ لانتقاصِ نفيِها بـ﴿إِلَّا﴾.

أجابَت الرسُل بآكَدَ مِن الأوَّل بإدخال اللّام في ﴿لَمُرۡسَلُونَ﴾ حيث كان في مقابَلَة الإنكار، وقولهم: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ يجري مجرَى القسَم، وهو وإن لم يكْفِ في إثبات المدَّعَى[1]، لكنه قرن بالتزام البلاغِ المبين، وهو لا يكون إلا بالمعجزة الظاهِرة، ومنهم من وقَف على ﴿يَعۡلَمُ﴾، أي: يعلم بأنه خصَّنا بالرسالة دونَكم.

ويحتمل أن يستدلَّ بقولهم: ﴿تَطَيَّرۡنَا﴾ على عجزِهم عن المجادلَة له بالدَّليل، فإنَّ التشاؤمَ من عادةِ الجهال، وأيُّ مدخلٍ له في إبطال الدليل؟!

ولقائلٍ أن يقول: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ وإن كان كالقَسم، لكنه يحتمِل ادّعاءَ الدليل، كأنّهم قالوا: الله الذي أرسلنَا وهو عالمٌ بصدقنا، فهو [2] يبيِّن صدقَنا، ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

وأجابتِ الرسُل بأنَّ سبَب الشُّؤم -الذي هو الكُفر- مَعكم، فلا يفارِقُكم إلا بزواله، ونحنُ ساعون فيه، فليس معنا إلا اليُمْن.

ويقرأ: ﴿طَيۡرُكُمۡ﴾[3]، أي: تَطيُّركم، وقُرئ: ﴿أَإِن﴾ بهمزة الاستفهام والشرط [4]، و﴿آإن﴾ بألف بينهما[5]، والمعنى استبعاد أن يتطيَّروا إن ذُكِّروا، وقُرئ بأن الناصبة[6]، أي:

---

(١) في الأصل و(أ): (المدعي)، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) في (ح): (وهو).

(٣) عن الأعرج والحسن وابن أبي عبلة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(٤) قرأ بذلك ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (٣٧٠).

(٥) ذكره القرطبي في الجامع (٤٢٧/١٧).

(٦) أي: ﴿أَأَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾، عن زر بن حبيش ويحيى وابن أبي ليلى. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٩)، =

أي: لأَن، وقرئ بها[1]، وبالشرطية بلا استفهام[2]، أي: لإن ذكّرتم، ويقرأ: ﴿أَيْنَ﴾[3] بمعنى أنَّ شؤمَهم معَهم حيثُ جرى ذكرُهم، فيكون شؤمُهم مؤثِّرًا في المكان أيضًا.

ومعنى الإضرابِ أنَّ الشؤمَ بسبَب الإفراطِ في المعاصي، لا مِن جهةِ الرسُل، بل ليسَ منهم إلا البركة واليُمْن.

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

هو حبيب النجار، قيل: كان ينحتُ الأصنامَ، وآمن برسول الله ﷺ، وبينهما سِتّمائةِ سنة، كما آمن به ورقةُ بن نوفل [4] والتُّبّع الأكبرُ[5] وغيرهما، ويؤيِّد ذلك ما روِي عن النبيِّ ﷺ: ((**ثلاثة لم يكفروا بالله طرفةَ عين: علي بن أبي طالب، وصاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون**))[6]. وكذا ما رُوِي أنه كان يعبد الله في غار، فلمَّا بلغه خبرُ الرسُل أتاهم وأظهر

= (ص١٢٩)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(١) أي: ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾، عن زر بن حبيش. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(٢) أي: ﴿إِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾، عن خالد بن إياس والحسن وابن وثاب. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(٣) مع تخفيف ﴿ذُكِرْتُمْ﴾، وهي قراءة الأعمش. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(٤) هو: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي ، ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ، كان قد كره عبادة الأوثان وتنصر في الجاهلية، وذكره غير واحد في الصحابة، قال ابن عساكر: لا أعرف أحدًا قال: إنه أسلم، توفي قبل أن يدعو النبي ﷺ إلى الإسلام، وقيل: بل عاش إلى أن دعا النبي ﷺ إلى الإسلام. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/٦٠٧.

(٥) هو: أسعد أبو كرب، ملك اليمن، أراد غزو البيت الحرام، ثم شرفه وعظّمه وكساه. ينظر: البداية والنهاية (١٢٢/٣).

(٦) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٠٧٢، ١١١٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٢٦/٨)، من =

دينَه، وقاول الكفرةَ فوثَبوا عليه وقتلوه [(١)]. وقيل: تَوَطَّئُوا بأرجلهم حتى خرج قُصبُه، وهو يقول: اللَّهمَّ اهدِ قومي، فغضب الله عليهم، فأهلكهم بصيحة جبريل [(٢)]. وقبره بسُوقِ أنطاكية.

وقولُه: ﴿مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ قيل: كلمة جامعة في التَّرغيب، أي: لا تخسرون شيئًا من دنياكم، وتربحون صحَّة دينِكم.

ولقائلٍ أن يقول: المرادُ نفيُ التهمة عنهم بجرِّ منفعةٍ دنيويَّة في الدعوة.

﴿وَمَا لِيَ﴾ قيل: هو جواب قولهم: أنت مؤمِن بآلهتهم؟! [(٣)]، وهو كلامٌ في معرض المناصحة لنفسِه مُريدًا به مناصحتَهم تلطُّفًا ومداراةً بهم، حيث لم يختر لهم إلا ما اختار لنفسِه.

ومما يدلُّ على أنه يريد نصحَهم قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

فإن قيل: ما وجه تخصيصِ الفَطر بنفسه والرجوعِ إليهم؟

قلنا: لأنهم بالتَّخويف أولى، وهو بالفَطر المقتضِي لإيمانه.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾

= طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه مرفوعًا، وفي إسناده عمرو بن جميع البصري، قال ابن حجر في تخريج الكشاف (ص١٤٠): "متروك"، فالحديث ضعيف جدًّا.

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٤١/٢)، والطبري (١٩،٤٢١)، عن قتادة نحوه.

(٢) أخرجه الطبري (٤٢٤/١٩) عن ابن مسعود بنحوه.

(٣) في (ح): (بإلههم).

إنكارٌ أن يوجدَ منه اتخاذُ آلهةٍ سوى الله، وبرهَن ذلك بعدم الفائدةِ حيث لا ينفعه بدفع ضرٍّ يريده الرحمن به، إذ يجعله موردًا للضرّ لا يدفعه عني أولئك[1]. [٧٤٥/أ]

ولقائل أن يقول: هنا لطيفة، وهي أنه إذا لم تَقدر تلك الآلهة أن تدفع بالشفاعة والمسكنة، فبالقهر والغلبة أولى من غير عكس، لا سيَّما والمريد بالضرّ الموصوفُ بكمال الرحمة، فكيف لو ذكر وصف القهرِ والغضبِ؟!

ثم لما قصدوا قتلَه أسرع إلى الرسل وقال لهم: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾؛ لكي تشهدوا به، فلما قُتل قيل له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وهو ممن قال تعالى فيهم: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقيل: المرادُ البشرى بدخولها، وهو استئنافٌ يُبيِّن به حالُه جوابًا لمن سأل عن حاله. وعدم ذكر[2] (له) للعناية بشأن القول، وهو معلوم أيضًا، وكذلك ﴿قَالَ﴾ بيانٌ آخر لحاله في الجنَّة، وسَرَّب التمنيَ[3] أن يعلموا به؛ فيقتدون به في الإيمان، وينالون تلك الكرامة.

وفي الخبر أنه نصح قومَه حيًّا وميتًا[4].

وفيه ترغيبٌ على كظم الغيظِ؛ فإنه مع ما قاسى من قومه أراد أن ينتَهوا للحقِّ، فيسعدوا به، ولعلَّ فائدةَ ذلك تسليةُ قلبِ مَن آمن مِن قومه عمَّا جرى عليه من الشدائد.

ويُقرأ: ﴿مِنَ الْمُكَرَّمِينَ﴾ بالمبالغة[5].

---

(١) كذا العبارة في الأصل وسائر النسخ، ولم يتبين لي وجهها.

(٢) في (ح): (ذكره).

(٣) أي: أخرج التمني وأرسله.

(٤) أخرجه ابن مردويه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعًا في حديث طويل، كما في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر (ص ١٤٠). وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ١٤) موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) عن الضحاك. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

و﴿مَا﴾ إمّا موصولة، أي: بالذي غفر لي بسببه، أو مصدريّة، أو استفهاميّة، أي: بمغفرة ربي هل هي بسبب قصدِ إعزاز الدين وتحمُّل المشاقّ؟ وطرح الألِف في ﴿بِمَا﴾ أحسن من إثباتها، وقيل: بمعنى أي شيء من غير استفهام، ونُقل عن الحسن.

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

أي: ما أنزلنا على قومِ حبيب من بعد قتلِه جندًا لإهلاكهم كما فعَلنا يومَ بدر، بل أهلكناهم بصيحةِ ملكٍ هو[(١)] جبريل، وما كان يصحُّ أن يهلكَهم بإنزال جندٍ حيث سبق في علمِه كفايةُ أمرِهم بتلك الصَّيحة، كما أشار إليه تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا﴾ الآية [العنكبوت: ٤٠]، وتخصيص إهلاكِ قومِ النبيِّ ﷺ يوم بدر والخندق بالريح والجنود مع[(٢)] إمكان الهلاك بملَكٍ لتعظيم النبيِّ عليه السلام وإنافته على سائر الرسل.

وقيل: ﴿مَا﴾ موصولة، والتقدير: مِن جندٍ وممَّا كنّا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح. واسم كان الأخذةُ أو العقوبة، ويُقرأ بالرفع [(٣)] على أنها تامة، أي: ما حدثت إلا صيحةٌ واحدةٌ، وعلى هذا فالقياس[(٤)] يُذَكَّر كان؛ إذ المعنى: ما وقع شيء إلا صيحةٌ، لكن النظر إلى أن الصيحة كفاعل الفعل، ومثله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا تُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] بالتأنيث[(٥)]، وبيت ذي الرمة[(١)]:

---

(١) في (ح): (وهو).

(٢) في (ح): (ومع).

(٣) قرأ بالرفع في ﴿إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أبو جعفر وحده. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٠).

(٤) في (أ، ح): (والقياس).

(٥) عن الأعمش والحسن والجحدري. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٤٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٣٦).

وما بَقِيت إلَّا الضُّلوع الجراشِعُ[2]

ويقرأ ﴿زَقْيَةٌ﴾[3] أي: صيحة، يُقال: زقى الطائر يزقو ويزقى، وفي المثل: أَثقَلُ من الزَّواقي[4].

و﴿خَـٰمِدُونَ﴾: ميِّتون، وأصله: خمدت النار، إذا عادت رمادًا، قال لبيد[5]:

وما المرءِ إلا كالشِّهاب وضوئه *** يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع[6]

وفي "المفاتح" أنَّ فيه إشارةً إلى ما كانوا عليه من غلبةِ القوة الغضبيَّة، فإنها كالنَّار، وكذلك الشهويَّة، فتخصيصُ الخمود الذي هو للنار من هذا الوجه[7].

=

(١) ذُو الرُّمَّة: لقب أبي الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود الحارثي ، الشاعر المعروف بذي الرُّمَّة، من التابعين، يروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ولقب بهذا اللقب لقوله: أَشْعَثَ بَاقِي رُمَّةَ التَّقْلِيد، توفي سنة إحدى ومائة. ينظر: الأنساب للسمعاني ٣/١٤، النجوم الزاهرة ١/٢٤٨.

(٢) عجز بيت، وصدره: طَوَى النَّحزُ والأَجْرازُ ما في غُروضها . والنحز هو ضرب الأعقاب والاستحثاث في السير، والأجراز جمع جرز وهي الأمحال، والغروض جمع غرض وهو حزام الرحل، والجراشع جمع جُرشع وهو المنتفخ الجنبين. ينظر: ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي (ص٤٤٧).

(٣) عن ابن مسعود. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(٤) كانت العرب تسمر بالليل، فإذا زقت الديكة استثقلتها؛ لأنها تؤذن بالصبح إذا زقت. ينظر: مجمع الأمثال للميداني (١/١٥٦).

(٥) هو: لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، أحد شعراء الجاهلية المعدودين والمخضرمين، قدم على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلم وحسن إسلامه ، ونزل الكوفة أيام عمر رضي الله عنه، فأقام بها ومات في آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائة وخمسًا وأربعين سنة ، منها تسعون سنة في الجاهلية ، وبقيتها في الإسلام. ينظر: الأغاني (١٥/٣٥٠)، الوافي بالوفيات (٢٤/٢٩٩).

(٦) ينظر: ديوان لبيد (ص٨٨).

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/٦٢).

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

الحسرةُ: النَّدَم على ما كان ولم يُمكن تداركُه، أو أن يركبَ الإنسانَ من شدة الندم ما لا نهايةَ بعده، حتى يبقى قلبُه حسيرًا، وهو بقاءٌ للحسرة، قيل لها: تعالَيْ ﴿ يَٰحَسْرَةً ﴾ فهذا أوان حضورك، أو أنهم أحقَّاء أن يتحسَّر عليهم.

ويقرأ: ﴿ يَاحَسْرَه ﴾ بالهاء[1] إجراءً للوصل مجرى الوقف، إما من كلام حبيب، أو قومِه، قالوا متحسِّرين على قتلِهم الأنبياءَ حين عاينوا العذابَ، وآمنوا حين لا ينفعُهم، والعبادُ: الرسُل، أو من كلام الله، يا لها حسرة يتحسَّر بعضُهم على بعض، فيكون على وجهِ الاستعارةِ في تعظيم ما جنوها على أنفسهم، ويؤيِّده أنه يُقرأ: ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾[2]؛ إذ المعنى: يا حسرتي، ويقرأ بإضافة الحسرة إلى العباد[3]؛ لأنها لا تتوجَّه إلا إليهم.

والرؤيةُ بمعنى العلم، وهي معلَّقةٌ عن العمل في ﴿ كَمْ ﴾ لئلَّا يَبطُل صَدريَّتُها[4]، فلا فرقَ فرقَ بين أن يكونَ (كم) للاستفهامِ والخبر؛ لأنَّ أصلَ (كم) الاستفهامُ، غير أنَّ مع العاملِ فلاحظ في الجملة[5] وإن لم يعمل بحسب اللفظ، كما في قولك: ألم تر أنَّ زيدًا لمنطلق؟ فإنه فإنه لم يعمل العامل، والمعنى على الإنشاء في ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾، و﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ بدل منه على المعنى، أي: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم؟ ومعنى ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

---

(١) عن الأعرج ومسلم بن جندب. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(٢) عن قتادة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٠).

(٣) عن ابن عباس ومجاهد وأبي والحسن. شواذ ابن خالويه (ص ١٢٥)، شواذ القراءات للكرماني (ص٣٩٩).

(٤) في (ح): (صدارتها).

(٥) كذا العبارة في الأصل وسائر النسخ، والظاهر أن فيها تحريفًا، ولعل صوابها: (غير أن معنى العامل ملاحظ في الجملة).

أنهم أهلكوا هلاكًا لا رجوعَ لهم إلى مَن في الدنيا، ولا يرجعون إلى المهلَكين بنسب أو ولادة، أي: قطعنا نسلهم بعد الإهلاك.

ويقرأ: (إِنَّ) [1] بالكسر [2]، فيكون مستأنفًا، و ﴿مَنْ أَهْلَكْنَا﴾[3]، فيكون بدل الاشتمال، فيكون المعنى: كل من أهلكناه لا يرجِع إلى الدنيا، فيكون ردًّا على من يقول بالرجعة إلى الدنيا[4]، ويُحكى عن ابن عباس أنه قيل له: إن قومًا [زعموا][5] أن عليًّا مبعوث مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بئس القوم إذن نحن، نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه[6].

و﴿إِن﴾ في ﴿إِن كُلٌّ﴾ نافيةٌ، وتنوينُ ﴿كُلٌّ﴾ عِوضٌ منَ المضاف [٧٤٥/ب] إليه، نحو: مررت بكلٍّ قائمًا، أي: أنَّ كلَّهم محضَرُون للحساب أو العذاب يومَ القيامة.

وما يقرأ من تخفيف ﴿لَمَا﴾[7] فَلِكَون (أن) مخفَّفَةً، واللام فارِقَة، و(ما) زائدة، و﴿لَمَّا﴾ بالتشديد بمعنى إلَّا، نحو: نشدتُك بالله لَمَّا فَعلْتَ [8]، أي: إلَّا فعلتَ [9]. وذهب وذهب الفرّاء[1] أنَّ أصله (لمن ما) أُدغمت الميم في النون وحُذِفت إحدى الميمات[2].

---

(١) في (ح): (ويقرآن).

(٢) عن الحسن. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٥-١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٠).

(٣) عن ابن مسعود. ينظر: الكشاف (١٤/٤).

(٤) من القائلين بالرجعة الشيعة الإمامية الاثنا عشرية. ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٩١١/٢).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ح).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٥/٢)، والحاكم في المستدرك (٣٠٥٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٥/٢٢)، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح".

(٧) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة بتشديد الميم، وقرأ الباقون بالتخفيف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٠).

(٨) في الأصل: (جَعلْت)، والمثبت من (ح).

(٩) أقحم في هذا الموضع من الأصل ومن سائر النسخ لفظة: (والإخبار)، ولا محل لها هنا، وستأتي في =

والإخبارُ عن (كلّ) بالجميع لإفادةِ الحضورِ مع الاجتماعِ؛ أنه[3] فعيل بمعنى مفعول.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) ﴾

الواو هذه كالواو في ﴿ وَإِن كُلٌّ ﴾، لعطف حكايةٍ على أخرى، كما تقول: بيّنت[4] لك كذا، وأنا[5] أقول: إن الأمر كذا.

وذكر في الربط أنه برهان على أنهم يحضرون يومَ القيامة.

وقرئت: ﴿ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ بالتخفيف[6]، وموتُها يُبسُها، وإحياؤها بالمطَر، وهو استئنافٌ بيانٌ لكونِها آيةً، وتخصيصُ كونها آيةً لهم لأنَّ النبيَّ ﷺ والمؤمنين عرفوا اللهَ قبل[7] الاستدلال بالأرض والسماء، وصحَّ جعلُها صفةَ الأرض كما في ﴿ نَسْلَخُ ﴾ صفة اللّيل؛ لعدم إرادة أرضٍ وليلٍ متعيّن[8]، فهو كقوله:

= في موضعها الصحيح.

(١) هو: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي، مولاهم الكوفي النحوي، لقب بأمير المؤمنين في النحو، وقيل: عرف بالفراء؛ لأنه كان يفري الكلام، مات بطريق الحج سنة سبع ومئتين، وله ثلاث وستون سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١١٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن (٢/٣٧٧).

(٣) كذا العبارة في الأصل وسائر النسخ، ولعل صوابها: (لأنه).

(٤) رُسمت غير منقوطة في جميع النسخ، فتحتمل قراءتها أوجهًا أخرى.

(٥) في (ح، أ): (وإنما).

(٦) قرأ أبو جعفر: (الميّتة) بالنشديد، وقرأ الباقون: (الميْتة) بالتخفيف. ينظر: تحبير التيسير (ص٢٩٩).

(٧) في جميع النسخ عدا (ن): (قبيل).

(٨) في الأصل وبقية النسخ عدا (ن): (معتبر)، وهو تصحيف، والمثبت من (ن).

ولقد أَمرُّ على اللئيمِ يسُبُّني [١]

وتقديمُ الظرفِ -وهو (منه)- للدّلالة على أنَّ مناطَ الخير [٢] الحَبُّ؛ لأنَّ الخصبَ بوجودِه والقَحط بفقدانه.

ويقرأ: ﴿فَجَرْنَا﴾ بالتخفيف[٣]، وفيه مبالغةٌ حيث جُعِلت كأنها نفسُ العيون.

وضمير ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ يرجع إلى الله تعالى، وفيه إشعارٌ بأنه وإن وُجِد الأسبابُ كلُّها لم توجَد إلا بالله تعالى. وقرئ بفتحتين وضمَّتين [٤]، ويقرأ بضمَّةٍ وسكون [٥][٦]، والعدولُ عن عن ثمرنا[٧] إلى الغيبة للالتفات [٨]، وما قيل: إنه يعود إلى النخيل والأعناب، وكذلك عمل أيديهم بالزرعِ أو ما يتخذ من الثمر كالدّبس [٩] عطف على الثمر، فإنه سبحانه هو الذي أقدَرهم عليه، ويؤيِّده احتمالُ أن يكونَ ﴿مَا﴾ نافيةً، فإنَّ المعنى أنَّ الثمرَ خَلقُ اللهُ، لا عملُ أيدِيهم، فيه تعسُّفٌ، والأولى الإعادَة إلى المذكورِ كما سَبق.

---

(١) صدرُ بيتٍ لرجل من بني سلول، وعجزُه: فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعنِيني. ينظر: الكتاب لسيبويه (٢٤/٣).

(٢) في (ب، د): (الخبر).

(٣) عن يعقوب، وذكره جناح بن حبيش. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٠).

(٤) قرأ بضمتين حمزة والكسائي خلف، وقرأ الباقون بفتحهما. ينظر: إتحاف فضلاء البشر (ص٢٧٠).

(٥) عن الأعمش. ينظر: المحرر الوجيز (٢٥٣/٤).

(٦) في (ح، ج، د): (وقرئ بفتحتين، ويقرأ بفتحة وسكون).

(٧) في (أ، ب، ح، ج، د): (ثمرات).

(٨) كذا في الأصل، وفي باقي النسخ: (للإنسان).

(٩) الدّبس: عسل التمر. ينظر: المعجم الوسيط (ص٢٩٢).

فيها خطوطٌ من سوادٍ[1] وبَلَق *** كأنَّهُ في الجلدِ تَوليعُ البَهَق[2]

على إرادةِ: كأنَّ ذاك؛ فإنه نقل من قلائله[3].

وقرئ: ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ من غير الضمير[4]؛ فإن حذفه من الصلة أحسن.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

هنا محلُّ ذكرِ تنزيهِه تعالى عن النقائصِ، وهو عند ذكر هذه القُدرةِ العظيمة، حيث بيَّن أنه سبحانه خالقُ جميع الأجناسِ والأصنافِ المعلومةِ من النباتِ والشجَر والذكَر والأنثى وأجناسٍ أُخَر لم يطَّلِع عليها الإنسانُ، وهو شاملٌ للحيوان والجمادِ، وقيل: لم يسمِّهم [5] مما مما في أقطار السماوات وتخوم الأرضين، ويدخُل في عموم الأصناف أفعالُ العباد، فتكون مخلوقةً لله تعالى، وإن حمل على ما في الجنان والنَّعيم -كما قيل- فيؤيِّده قوله عليه السلام: ((**لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**)) [6]. وفي الإبهام إشعارٌ بالقدرة التامَّة والحكمة البالغة. وسلخُ النهار من الليل استعارةٌ لإزالة الضوءِ وكشفِه عن مكانِ الليل؛ لأن الأصلَ في الشاةِ والحيَّةِ كَشْط الجِلد وإزالته.

---

(١) في (ح، ج، د): (فيها خطوط وسواد).

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج. ينظر: ديوان رؤبة في مجموعة أشعار العرب (ص١٠٤).

(٣) كذا العبارة في الأصل وسائر النسخ، ومعناها غير ظاهر، ولعلّها تصحفت من: (فأنه يُعدّ من غرائبه)، والله أعلم.

(٤) هي قراءة عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي وخلف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٠).

(٥) في (ن): (يسميهم).

(٦) يشير إلى قوله ﷺ في وصف الجنة: ((**فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر**))، أخرجه مسلم (٢٨٢٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وأظلم: دخل في الظلامِ، نحو: أعتَم دخَل في العتَمة.

وشبَّه جريَ الشمسِ الحد [(١)] المعين الذي ينتهي إليه دورها بمستقرِّ المسافه [(٢)] إذا قطع مسيره، أو المراد بالمستقرِّ كبدُ السماء، فإنه باعتبار أنَّ حركتَها فيه توجَد أبطأ نَظنّ [(٣)] أن لها هناك استقرارًا، قال:

والشمسُ حيرى[(٤)] لها بالجوِّ تديم[(٥)]

أو المرادُ: مُنقطعُ جريُها عند خرابِ العالم، أو الجريُ لمنتهى مقدَّر لكلِّ يوم من المشارق والمغارب، فإنَّ لها في دورها ثلاثمائةٍ وستين مشرقًا ومغربًا، بحيث لا تعودُ إلى كلٍّ منها إلا بعد عام.

ويقرأ: ﴿لَا مُسْتَقَرَّ﴾[(٦)]، أي: لا سكونَ لها ومستقَرَّ، على أن (لا) بمعنى (ليس).

وذِكرُ العزيز لبيان أنَّ قدرتَه غالبٌ لا يُغلَب [(٧)] عن إرادةِ كلٍّ ما تعلَّقت به مشيئتُه، والحكيم[(٨)] لبيان الإحاطَة بكلِّ معلومٍ، وأنَّه لا يصدُر إلا عن حِكمةٍ، وذلك إشارةٌ إلى

---

(١) كذا في الأصل وسائر النسخ، ولعل الصواب: (للحدِّ).

(٢) كذا في الأصل وسائر النسخ، وهو تصحيف، والصواب: (المسافر) كما في الكشاف (٤/١٦).

(٣) في (ب): (يُظَنّ).

(٤) في (الأصل، أ، ب، ح، ج، د): تجرى، وهو تحريف، والتصويب من: (ن).

(٥) كذا في الأصل و(أ، ب، ن)، وفي (ح، ج، د): (مديم)، وكلاهما تحريف، والصواب: (تدويم)، فالشطر عجز بيت لذي الرمة، يصف فيه فرسه وسرعة جريه في الظهيرة وشدة الحر، وتمام البيت:

مُعْروريًا رمض الرضْراض تَرْكُضُه *** والشمس حيرى لها بالجو تدويم

ينظر: ديوان ذي الرمة (١/٤١٨).

(٦) عن ابن عباس وابن مسعود ومحمد بن علي. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٠).

(٧) في (ح): (يغيب).

(٨) كذا في الأصل وسائر النسخ، ولعله تحريف، فليس في الآية ذكر اسم الجلال (الحكيم)، وإنما فيها ذكر (العليم).

جريِ الشمسِ أو المستقر[١]، وبيان الحكمة على ما قال في "المفاتح": أنَّ بِبُعْدها يجتمع[٢] الرطوبات في باطن الأرض والأشجار في الشتاء، ثمّ قدّر قربها بتدريجٍ ليخرج النبات والثمار من الأرض وينضج[٣]. وفائدةُ الغروب أن لا تَكِلّ القوى والأبصار بالتعب[٤]، وفائدة الطلوع أن لا يخربَ بالظلمَة الدائمة.

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

أي: قدّرنا مسير القمر منازلَ؛ لأنَّ نفسَه لا يتقدَّر بها، وقيل: بل نفسُ القمَر؛ لأنه يزيدُ وينقُصُ بخلاف الشَّمس، ولعلَّ مرادَهم زيادةُ الضوءِ ونقصانهُ. وقيل: التقدير: قدّرنا له منازلَ، فحذف الجارّ. وعلى الأوَّل منصوبٌ على شريطةِ التفسير أو على الظرفِ.

وهي ثمانيةٌ وعشرون، كلّ ليلةٍ ينزل واحدًا من ليلة المستهَلّ إلى الثامن والعشرين، ثم يسير ليلتين أو ليلةً إذا نقص الشهر، وعنى بالمنازل: الشَّرَطَين، والبُطَيْن، والثُّرَيَّا، والدَّبَران، والهَقْعَة، والهَنْعَة، والذِّرَاع، والنَّثْرَة، والطَّرْفة، والجَبْهَة، والزُّبْرَة، والصَّرْفة، والعَوّاء، والسِّمَاك الأعزل، والغَفْر [٧٤٦/أ]، والزُّبَانَا، والإكْلِيل، والقَلْب، والشَّوْلة، والنَّعائم، والبَلْدَة، وسعد الذَّابح، وسعد بُلَع، وسعد السُّعود، وسعد الأخْبِيَة، وفَرْغ الدَّلْو المقدَّم، وفَرْغُ الدَّلْو المؤخَّر، والرشا[٥]. وهذه مراد العربِ بمواقع النجوم التي نُسبت الأنواء الممطرة إليها.

ومعنى عود القمر كالعرجون القديم وهو العِذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة، أو فُعْلُون من الانعراج وهو الانعطاف: أنه إذا كان في آخر منازله دقَّ واستقوس وعاد مثلَ هذا العُود.

---

(١) في (ح، ج، د): (والمستقر).

(٢) في (ج): (تجتمع).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٢/٢٦).

(٤) في (ح، ج، د): (بالقلب).

(٥) ذكرها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص١٩٣).

والوصف بالقديم لأنَّه إذا قدُم دقَّ وانحنى واصفرَّ، فيشبهها من هذه الأوجه، والقديم: المحول، وقيل: أقلُّ مدَّةِ الموصوف بالقِدم الحول، فقيل: لو أوصى بعِتق كلِّ مملوكٍ قديم، عتق من مضَى عليه حولٌ.

ويقرأ بكسر العين ﴿كَالْعِرْجُونِ﴾[1]. ورفعُ ﴿ٱلْقَمَرُ﴾[2] جاز أن يكون بالابتداء، و﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ خبره؛ إذ التقدير: وآيةٌ لهم القمر.

ومعنى إدراكِ الشمسِ القمرَ أنها لا تدركه في سرعَةِ سيره [3]، فإن الشمس لا تقطع فلكَها إلا في سنة، والقمر في شهر، وجعل ذلك سببًا لوصفها بالإدراك لتباطُؤِ سيرها، ووصف القمر بأن لسرعة سيره[4]، أو أنه يكون نقصان ضوئها[5]، وعلى الأول معناه أنه لا لا يصحُّ ولا يستقيم أن يدركَ القمر، فيجتمعان في وقت فيطمس نورها نوره؛ وذلك لأن الله سبحانه قدَّر لكلٍّ قدرًا من الزمان، وجعل ذلك وقت سلطان كلٍّ منهما بمقتضى الحكمة والاختيار، وإلا فله أن يجمعَ بينهما كما ورد في قوله سبحانه: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، وذلك وجه الآيتين[6]، وقيل: عدم الإدراك لاختلاف محليهما؛ لأن الشمس في

---

(١) عن سليمان التيمي وابن أبي عبلة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٠).

(٢) الرفع هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٠).

(٣) في (أ، ب، ح، ج، د): (مسيره).

(٤) كذا العبارة في جميع النسخ، والظاهر أن فيها سقطًا، ولعل صوابها: (ووصف القمر بالسبق لسرعة سيره)، ففي الكشاف (٢١/٤): (بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره).

(٥) قال في اللباب: ولا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر حتى يكون نقصان ضوئها كنقصانه. رسالة اللباب للكرماني ١٢٣٢/٢، [تحقيق إبراهيم الدومري].

(٦) في (ج): (الاثنين).

في الرابعة[1] والقمر في السماء الدنيا، وعدم سبق الليل النهار لاختلاف زمانيهما لأن النهار زمان طلوع الشمس، والليل زمان غروبها[2].

وكل واحد من الشمس والقمر وسائر الكواكب يسبح في فلكه، عبر عن السير بالانبساط بالسباحة للتناسب، وجعل التنوين عوضًا أي: كلهم [3]، وما قيل: إن الضمير للشموس والأقمار فلعل التعدد باعتبار المطالع والمغارب للشمس وهيئات القمر.

فإن قيل: ما وجه ضمير العقلاء، وذكر في "المفاتيح" [4] أن مقتضى إطلاق الفلك وهو الجسم المستدير أو السطح المستدير، فإن أهل اللغة اتفقوا على أن فلكة المغزل إنما سميت بها لاستدارتها وفلكة الخيمة لذلك[5]، قال: فإن قيل: فعلى هذا يكون [6] السماء مستديرة، مستديرة، وقد اتفق أكثر المفسرين على أنها مبسوطة لها أطراف على جبال، وهي كالسقف المستوي، ويدل عليه ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ [الطور: ٥]. ويقول: ليس في النصوص ما يدل بالقطع على أنها غير مستديرة، ودل الدليل من وجوه على استدارتها، فوجب القول بها، أما الأول فلأن السقف لا يخرج باستدارته عن كونه سقفًا، وفي الثاني ذكر أدلة، منها: أن الشمس قبل الطلوع وبعد الغروب يستنير الجو بها، ولولا أن بعض السماء مستتر بالأرض وهو محل الشمس فلا يرى جرمها ويسير [7] نورها وإلا لما كان كذا، بل كان عند إعادتها إلى السماء يظهر لكل أحد جرمها ونورها معًا؛ لكونها مستوية مكشوفة كلها لكل أحد.

---

(١) أي: في السماء الرابعة.

(٢) في (الأصل، أ، ب، ح، د): غروبهما، والتصويب من (ن، ج).

(٣) قال في المفاتيح: التنوين في قوله: ﴿كُلٌّ﴾ عوض عن الإضافة، معناه: كل واحد، وإسقاط التنوين للإضافة حتى لا يجتمع التعريف والتنكير في شيء واحد، فلما سقط المضاف إليه لفظًا رد التنوين عليه لفظًا، وفي المعنى معرف بالإضافة.

(٤) مفاتيح الغيب (٢٦/٧٦).

(٥) في (ن): (كذلك).

(٦) في (ج): (تكون).

(٧) في الأصل و(أ، ن) غير منقوطة، وفي (ب): (يستر)، وفي (د): (مسير)، وما أثبته من (ح)، وفي =

ولقائل أن يقول: لم لا يجوز أن يكون البعد مانعًا من الإدراك؟

ثم قال [١]: واعلم أنهم أثبتوا أربعة وعشرين فلكًا: الفلك الأعلى، وفلك [٢] البُروج، ولِزُحل ثلاثة: الممثل والحامِل والتدوير، وكذا للمُشتري والمريخ، وللشمس: الممثل والخارج المركز، وللزُهرة ثلاثة كما للعلويات [٣]، ولعطارد أربعة: الثلاثة التي للعلويات والمدير، وللقمر أربعة والرابع يسمى فلك الجوزهر [٤]، والفرق أن المدير غير محيط بأفلاك عطارد والجوزهر [٥] محيط. ومنهم من زاد في الخمسة في كل فلك فلكين آخرين، وجعل بدورانها [٦] مركبة من ثلاثة أفلاك، وقالوا: بسبب هذه الأفلاك تختلف [٧] حركات الكواكب، ويكون لها عُروض ورُجوع واستقامة وبطء وسرعة، قال: ونحن نقول: لا يبعد من قدرة خلق مثل ذلك، وأما على سبيل [الوجوب فلا نسلم] [٨]، ورجوعها واستقامتها بإرادة الله سبحانه، فكذلك عرضها وطولها، وبطؤها وسرعتها، وقربها وبعدها [٩]، قلنا: لعل ذلك باعتبار إثبات السباحة التي هي للعقلاء إن لم يثبت لهما إدراكًا كما قال المنجمون أنهم أحياء، قال في "المفاتح": إن أردتم أن الله أسند السباحة إليهم وهو المراد بالحياة، فلا استحالة، ولا يدل على الحياة

=
المفاتيح: (ينتشر).

(١) أي: الفخر الرازي رحمه الله تعالى.

(٢) في (ح، ج، د): (وذلك)، وهو تحريف.

(٣) في (ح، ج، د): (كالعلويات).

(٤) في (ح): (الجوزاء).

(٥) في (ح): (الجوزاء).

(٦) في الأصل و(أ، ن) لم ينقط الحرف الأول، وفي (ح): (بدورانها)، وفي (ب، ج، د): (يدورانها)، وفي المفاتيح: (تدويراتها). ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/٧٧).

(٧) في (ب، ح، د): يختلف.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب، د)، وبياض في الأصل وباقي النسخ، واستدراكه من مفاتيح الغيب.

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/٧٧).

كما في السبح، وإن أردتم شيئًا آخر، فلم يثبت ذلك، والاستعمال لا يدل عليه، كما في الأصنام ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ [الصافات: ٩٢][١].

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

أي: ومن الآيات آية أخرى، ووجه المناسبة أنه لَمَّا مَنَّ بإحياء الأرض وجعلها مكان الحيوان، جعل السير في البحر كالسير في البر، ومناسبة سباحة الكواكب بسباحة الفلك، وفيها المنة العظيمة، لا سيما إذا أريد بالفلك سفينة نوح ، فإن الله حمل فيها آباءهم وفي أصلابهم ذرياتهم، غير أن حمل الذرية على الأولاد، والإسناد بذلك على أنها للأضداد[٢] للأضداد[٢] خطأ هو المشهور [٣]، وإن حملت [٧٤٦/ب] على النساء خاصة، قيل: كانوا يركبون أولادهم في التجارات ترفُّهًا.

ويقرأ: ﴿ ذريتهم ﴾[٤]، وإذا حمل الذرية على أنفسهم فالفلك يحتملهما [٥] والآباء لسفينة نوح[٦].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٧/٢٦).

(٢) في جميع النسخ عدا (ن): للأجداد، وهو تحريف، والتصويب من: (ن).

(٣) أي: الآباء ذرية والأبناء ذرية، وسمي الآباء ذرية لأن منهم ذرأ الأبناء، ورده ابن عطيه في المحرر (٤٥٥/٤) قال: "وهذا لا يُعرف لغة".

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب: (ذرِّيَّاتِهم) بالألف وكسر التاء، وقرأ الباقون: (ذرِّيَّتَهم) بغير ألف وفتح التاء. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧١).

(٥) في (ج، د): يحتملها.

(٦) قال الكرماني: الفُلْك هو: سفينة نوح فيمن جعل الذرية الآباء، ومن جعل الذرية الأبناء فالفُلْك عام، ومن جعل الذرية هم أنفسهم احتمل الفلك الوجهين معًا. رسالة اللباب للكرماني ١٢٣٣/٢، [تحقيق إبراهيم الدومري].

ومعنى ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من مثل ذلك الفلك خلقنا لهم من السفن والزوارق ما يركبون، وقيل: المراد الإبل[1] فإنها سفائن البر، وقيل: الخيل والبغل[2] وكل ما يركب[3].

﴿وَإِن نَّشَأْ﴾ بيان منة الإنجاء، فإنه لو شاء الله إغراقهم فلا مغيث لهم، أو لا إغاثة لهم، يُقال: أتاهم الصريخ، ولا ينجون من الموت بالغرق إلا بسبب رحمتنا إياهم؛ لأنه لا مغيث يمنع الوقوع، ولا دافع عنهم بعد الوقوع، والتمتع بالحياة إلى الأجل المسمى.

ويقرأ: ﴿نُغَرِّقْهُمْ﴾ بالمبالغة[4].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

أي: ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر، أي: الوقائع التي نزلت بالأمم المكذبة.

ووجه الربط أن بعد ذكر الآيات لا أقل من أن يحترزوا من العذاب، وإن لم يتقوا الأمر، وما قيل من أمر الدنيا والآخرة فلا بد من تخصيصه[5].

وفائدة (لعل) الإشارة إلى أن التقوى لا توجب الرحمة، والتقدير: اتقوا راجين رحمة الله.

وجواب (إذا) محذوف، نحو: أعرضوا لدلالة معرضين عليه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٩/٤٤٦)، وأخرج نحوه أيضًا عن الحسن، وعكرمة، والسدي.

(٢) في (ج): البغال.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٩/٤٤٦)، عن مجاهد قال: من الأنعام.

(٤) عن الحسن. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠١).

(٥) عن سفيان رحمه الله: ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: أمر الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: أمر الآخرة. ينظر: النكت والعيون (٥/٢١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: الدنيا. ينظر: معالم التنزيل (٧/١٩).

وفائدة التعميم بزيادة ﴿مِّنۡ﴾ الإشارة إلى أن عادتهم الإعراض عن كل آية، و ﴿مِّنۡ﴾ الثانية للتبعيض.

والمأمورون بالإنفاق امتحانًا لهم مشركو مكة، أو زنادقة، أو معطلة كانوا بها، فعلى الأول أرادوا إلزام المؤمنين، بمعنى: أنه لو حصلت مشيئة الله تعالى غناهم لأغناهم، أيفقره الله ونحن نطعمه؟ حيث قال الفقراء: أعطونا مما زعمتم أنها لله من أموالكم كما أشار إليه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾[1] وعلى الثاني: ذكروه للاستهزاء؛ لأنهم لما كانوا معطلة لم يثبتوا الصانع كيف يقرون بأن الأمور لا تقع إلا بمشيئته! و ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ قيل: من تمام كلامهم، وقيل: كلام الله لهم، أو أمر للمؤمنين بأن يقولوا لهم ذلك، والعدول عن الجواب بقولهم: أننفق؛ لأن الطعام أقل درجات الإنفاق.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

أي: متى يكون وعد البعث؟ ولفظ الوعد دون الوعيد، قيل: لزعمهم أن لهم الحسنى عند الله، والجواب أنهم ما ينتظرون إلا النفخة الأولى، وهي نفخة الفزع، لا نفخة الصعق والبعث، ولا تأتيهم إلا بغتة، وهم في مخاصماتهم الأعم من مخاصمة في المعاملات أو في البعث وغيرهما، أي: تأتيهم آمنين في غفلتهم، لا يخطرن [2] ببالهم، أو أنهم مخصمون في الحجة، في أنهم لا يبعثون، كما قرئ: ﴿يَخْصِمون﴾، و﴿يختصمون﴾[3]، والقراءة المشهورة أدغمت فيها التاء بعد أن سكنت -وأصله يختصمون- في الصاد مع فتح التاء وكسرها، وإتباع التاء الخاء في الكسر على إتباع حركتها إليه، كل ذلك قرئ به، وباختلاس[4].

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

(٢) في (أ، ب، ح، ج، د): (يخطرون).

(٣) عن اليماني. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٠).

(٤) قرأ ابن كثير وورش عن نافع ومحمد بن حبيب عن الأعشى وروح وزيد عن يعقوب: (يَخَصِّمون)، =

وعدم قدرتهم على التوصية بشيء في أمورهم والرجوع إلى أهلهم تأكيد لإهلاكهم بغتةً بالصيحة.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

هي النفخة الثانية، أي: ينفخ في الأجساد فيحيون، والأجداث: القبور، ويُقرأ بالفاء[1].

﴿يَنسِلُونَ﴾: يَعْدُون، بكسر السين وضمها.

ويُقرأ: ﴿مَن أَهبنا﴾[2]، أي: أيقظنا من نومنا، وجاء: أهب من نومه لازمًا، وفي كونهم نيامًا في المراقد وجوه، أحسنها: أنها بالنسبة إلى ما يلقون من شدة العذاب حسبوه نومًا في المرقد، وقيل: يخفف العذاب عنهم بين النفختين، وقيل: لاختلاط عقولهم يقولون ذلك.

ويُقرأ: ﴿ويلتنا﴾[3]، وسواء جعلت ما موصولة أو مصدرية، فهي خبر ﴿مَا﴾، غير أن في الأولى الراجع محذوف، وأن جعل ﴿هَٰذَا﴾ صفة المرقد، و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبر محذوف، أو خبره محذوف، أي: ما وعد [4] الرحمن حق، وهو جواب الملائكة أو المؤمنين، أو من جملة كلامهم. والعدول عن طريقة الجواب سألوا عن الباعث لتذكيرهم كفرهم وتوبيخهم عليه،

= وقرأ أبو عمرو بفتح الخاء أيضا إلا أنه يشمه الفتح ولا يشبعه، وقرأ أبو جعفر ونافع برواية إسماعيل وقالون: (يَخْصِّمون) ساكنة الخاء مشددة الصاد، وقرأ حمزة: (يَخْصِمون)، وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي وخلف ورويس عن يعقوب: (يَخِصِّمون). ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧١).

(١) أي: (الأجداف). ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠).

(٢) عن ابن مسعود. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠١).

(٣) عن ابن أبي ليلى. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠١).

(٤) في (أ، ب، ح، ج): (ما وعدنا).

وأن المهم السؤال عن البعث الذي هو الهول الأعظم، لا مجرد الإيقاظ عن النوم كما قالوه، وكأنه قال: بعثكم الرحمن الذي وعدكم به، وأرسل الرسل الصادقين فيه.

ولقائل أن يقول: لعل عدم ذكر البعث لظهور كون الكائنات بأسرها من الله سبحانه، لا سيما في ذلك الوقت، و ﴿مَا﴾ إذا كانت مصدرية فالتقدير: صدق المرسلين، إطلاقًا للمفعول وإرادة المصدر، وإذا جعلت موصولة لم يحصل ارتباط في قوله ﴿صَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إلا بتقدير: صدق فيه المرسلون، كما قيل: صدقوهم الحديث، أي: صدقوا فيه.

ولا يشكل بأن النفخة كيف توجب الموت والحياة؛ لأن الصوت الهائل [٧٤٧/أ] يزلزل الأجسام، فعند الحياة يفرق الأجزاء، وبعد الموت يجمعها.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

أي: إن كانت الفعلة إلا صيحة واحدة، وهي النفخة الأخيرة، وقرئت بالرفع على كان التامة[١]. وفيه إشارة إلى سهولة أمر البعث، و ﴿فَالْيَوْمَ﴾ [إلى الآخر حكاية ما يقال لهم تحقيقًا للموعود، فإن قيل: ما فائدة الفاء ههنا؟ قلنا لعل فيها نوع][٢] سببية، كأنه قال: إذا صح الوعد وحصل اليوم فلا تُظلم نفس، وما حيثُ يصح أن يكون مفعولًا لم يحتج إلى التقديم بـ (ما) وإن صح ذلك.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

هذا أيضًا من جملة ما يُقال لهم تحقيقًا للوعد.

---

(١) عن أبي جعفر المدني. ينظر: الكشاف للزمخشري (١٢/٤).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ن).

و﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ من الفكاهة، أي: متلذِّذون في النعمة، والتنكير للتعظيم؛ للإشعار بأنه مما لا يدرك نهايتها، ولا يُحاط بغايتها. وقرئ بسكون الغين [(١)]، و﴿ فَكِهون ﴾ للمبالغة[(٢)]، ويُقرأ بضم الكاف [(٣)] كنطُس[(٤)] معًا، وحدُث وحدِث [(٥)]. وهما خبرا ﴿إِنَّ﴾ إن لم يجعل ﴿فِى شُغُلٍ﴾ صلة لـ ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾، ويُقرأ على الوجهين على الحال من متعلق الظرف و﴿ شَغْل ﴾ بالفتح والسكون [(٦)]، وهي لغات. وقيل: الفاكه: كثير [(٧)] الفاكهة كاللاَّبِن، والفكه: المتناول لها وللطعام، وقيل: الفاكه: الفرح، والفكه: المتعجب.

و﴿ ظِلَٰلٍ ﴾ كشعاب أو قباب، جمع ظل أو ظلة [(٨)]، ويؤيد الثاني ما قرئ: ﴿ فِى ظُلَلٍ ﴾[(٩)].

والأريكة: السرير المزين، و﴿ هُمْ ﴾ مبتدأ، و﴿ فِى ظِلَٰلٍ ﴾ خبره، و﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ إما خبر ثان، ويجوز أن يكون جملة مستأنفة، كأنه جواب من قال على وجه، أو الخبر ﴿ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ والجاران صلتان له أو تأكيد للضمير في ﴿ شُغُلٍ ﴾ أو ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ و﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ المجموع خبر آخر؛ لأن قوله: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُمْ ﴾ عطف على ﴿ هُمْ ﴾

---

(١) أي: (شُغْلٍ) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وروح عن يعقوب، وقرأ الباقون: (شُغُلٍ) بضم الغين. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧١).

(٢) هي قراءة أبي جعفر وحده. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧١).

(٣) أي: (فَكُهون). ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١).

(٤) النّطس: الحاذق المدقِّق في الأمور. ينظر: المعجم الوسيط (ص٩٧٠).

(٥) في الأصل (حدث) بدون الواو، والمثبت من (ن).

(٦) عن أبي هريرة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠١).

(٧) في جميع النسخ عدا (ن): كثرة، وهو تحريف، والتصويب من: (ن).

(٨) في (ح): (وظلة).

(٩) قرأ بذلك حمزة والكسائي وخلف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٢).

لمشاركتهم إياهم في الظل والأريكة والاتكاء، و﴿فِي ظُلَلٍ﴾ حال من مجموع المعطوف والمعطوف عليه.

فإن قيل: التعلق بالأولاد أهم، فكيف لم يذكروا؟

قلنا: لعله لما ذكر الأصلين وهم فروع اندرجوا بالتبعية، بخلاف ما لو ذكر بالعكس.

و﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ هو ما يدَّعونه لأنفسهم، أو حال من الدعاء، نحو: اشتوى بمعنى شوى، قال لبيد:

فاشتوى ليلة ريح واجتمل

أي: جمل لنفسه أو يتداعونه[1] نحو: ارتموه وتراموه ويتمنونه[2]، نحو: ادَّعِ علي ما شئت شئت أي: تمنَّه، وقال في خبر ما أدعى أي: تمنى، أو من الدعاء، أي: يحصل لهم ما يدعون به.

و﴿سَلَٰمٌ﴾ بدل منه، أو صفة أخرى، أو خبرها، أو خبر محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: ولهم سلام، ويقرأ بالنصب على المصدر [3]، أو الاختصاص، أي: لهم سلام، يُقال لهم ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ أو يقول الله.

وتسليم الله سبحانه ولو بواسطة الملك تعظيم لهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين.

ويحتمل أن يكون ذلك من قوله سبحانه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

---

(١) في (ح، ج، د): (يتداعون).

(٢) في (ح، ج، د): (ويتمنوه).

(٣) عن أبيّ وابن مسعود والثقفي . ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

وقيل: ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ خبر ﴿مَا يَدَّعُونَ ﴾، ويجوز أنَّ ﴿مَا ﴾[1] مرتفعة بالابتداء، و﴿لَهُم ﴾ خبرها، وهي خبرية أو موصوفة، أي: ما يدّعونه في الدنيا من الجنة، و ﴿مَا ﴾ موصوفة.

﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

يُقال لهم حين يُسار بالمؤمنين إلى الجنة: انفردوا عنهم، أو: اعتزلوا عن كل خير، أو: لينفرد كل كافر في النار ببيته لا يَرى ولا يُرى، وللمؤمن الاجتماع بالأحوال، ولا عذاب فوق الفرقة؛ ولهذا قيل: كل عذاب بسبب تفرق اتصال كمن احترق بدنه أو قطع عضوه.

ولعل ذكر الجرم للإشارة إلى علة الحكم، أو على طريقة: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: ١٤].

والعهد: الوصية، أي: ألم أوصكم بأن لا تُطيعوا الشيطان فيما يأمركم به؟! وفائدته قطع الأعذار لسبق الإنذار، وذلك العهد هو [2] ما بيَّنه سبحانه بالدلائل السمعية والحجج العقلية التي ركزت في العقول من الاجتناب عن مظان الضرر.

ويُقرأ بكسر الهمزة[3]، والحاء بدل العين[4]، و﴿أَحَد ﴾ على لغة تميم[5].

---

(١) في (ح): (أن يكون ﴿مَا ﴾).

(٢) في (أ، ب، ح، ج، د): (وهو).

(٣) أي: (إِعْهد)، عن طلحة ويحيى بن وثاب . ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

(٤) أي: (أحْهَد). ينظر: الكشاف للزمخشري (٢٣/٤).

(٥) ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

وهذا إشارة إلى الصراط؛ فإنه لا استقامة لطريق أعظم من عبادة الرحمن ومخالفة الشيطان، والتنكير للتعظيم كما في قول كُثَيِّر [(١)]: إنني لفقير [(٢)]، أي: بليغ الفقر، وقيل: يجوز أن يراد بعض الصرط المستقيمة[(٣)]، وفيه تقريع لهم على العدول عنه. والجملة استئناف بيَّن بها المقتضى للعهد بشقيه، أو بالشق الآخر.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾ بيان للزوم ترك طاعة الشيطان، فإنه إذا كان ظاهر العداوة الحاصلة بسبب تكريم الله الإنسان، ولعنه بسبب يجب الاجتناب عنه رأسًا، فكيف اتباعه بالطاعة، لكن لما كان يدعو إلى اللذات يميل إلى قوله بطبعه، واشتقاق الجَبْل من جَبَلَه إذا خَلَقَه أي: أضلَّ خلقًا [٧٤٧/ب] كثيرًا، ويقرأ: ﴿جَبْلًا﴾ جمع جِبْلة [(٤)]، كخَلق [جمع] [(٥)] خِلقة، وبضمتين[(٦)]، وضمة وسكون [(٧)]، وضمتين وشديدة [(٨)] اللام [(٩)]، وكسرتين [(١٠)]، وكسرة

---

(١) هو: كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، يكنى أبا صخر ، الملحي منسوب إلى قبيلته بني مليح، وكان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحدًا، مات بالمدينة في يوم واحد سنة خمس ومائة، وقد زاد واحدة أو اثنتين على ثمانين سنة. ينظر: معجم الشعراء (ص٣٥٠) .

(٢) هذا جزء من عجز بيت كُثَيِّر الذي يقول فيه:

لئن كان يُهدى بَرْدُ أنيابِها العلا لأفقرَ منِّي إنَّني لفقيرُ

(٣) في (ب، ح، ج، د): (الصراط المستقيم).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢٤/٤).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ح، ن).

(٦) قرأ (جُبُلًا) حمزة وابن كثير والكسائي وخلف ورويس عن يعقوب. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٢).

(٧) قرأ (جُبْلًا) أبو عمرو وابن عامر. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٢).

(٨) في (ح، ج): (وتشديد).

(٩) قرأ (جُبُلًّا) يعقوب برواية روح وزيد. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٢).

(١٠) عن عاصم. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

وسكون[1]، وكسرة وبشد[2] اللام[3]، وهي لغات فيه، و ﴿جِيلًا﴾[4] واحد الأَجيال، وهم وهم الطوائف، وعلى هذا كيف يخفى عداوته على عاقل؟! ولهذا استفهم عن استعمال العقل على وجه التوبيخ.

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

هذا بيان ظهور أثر اضْلالِه، فيُقال لهم: ذوقوا حرها بسبب كفركم، قيل: يُقال لهم هذا القول بعد أن ينكروا الشرك، مع الحلف عليه، مع شهادة الجوارح[5] والأهالي والعشائر، وفي وفي الخبر أنه يقول يوم القيامة: ((**إني لا أجيز على نفسي شاهدًا إلا من نفسي، فيختم على فيه، ويُقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلَّى بينه وبينها**[6] **فيقول: بُعدًا لكن وسحقًا، فعنكن**[7] **كنت أُناضل**))[8].

وما قيل قد يكون بظهور آثار المعاصي عليها الدالة على فعلهم إياها، كقول الشاعر:

إذا نظرت نحوي تكلم طرفها وجاوبها طرفي ونحن سكوت

---

(١) عن يعقوب وعن الأشهب. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

(٢) في (ح): (وتشديد).

(٣) قرأ (جِبِلًّا) أبو جعفر ونافع وعاصم. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٢).

(٤) عن ابن مسعود. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

(٥) في (ن): (الجيران).

(٦) في الأصل و(أ، ب، ن): (وبين)، وفي (ج، د): (وبيني)، والتصويب من: (ح).

(٧) في (ح): (عنكن).

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الزهد (٢٩٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ولقائل أن يضعفه؛ لأن في مقام الإنكار كيف يكتفى بالأمارات الضعيفة؟! وهي أيضًا في معرض الإنكار(١).

ويُقرأ: ﴿يُخْتَمُ﴾ بالمجهول و ﴿تَتَكلَّم﴾(٢)، و ﴿لِتُكلَّمَنا﴾ و ﴿لِتَشهَدَ﴾ بلام كي بالنصب(٣)، وكذلك نختم، وبلام الأمر من الله للأعضاء (٤)، وقيل: تشهد الملائكة الموكلون الموكلون عليهم(٥). وإسناد الختم إلى نفسه دون الإنطاق قيل: لبيان أن الكلام يصدر باختيارهم لا على وجه الجبر(٦).

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

لعل وجه الربط تحقيق إنطاق الجوارح ببيان القدرة على تغيير الهيئة، أو أنهم أحقاء بذلك، لكن عموم الرحمة اقتضت إمهالهم، وأمَّا تغيير الهيئة فبأن نطمس أعينهم، وهي تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة(٧)، فاستبقوا الطريق الذي اتقوا سلوكه إلى مساكنهم التي كثُر ترداده إليها، لم يهتدوا إلى تلك الجهة؛ إذ لم يبصروا، فكيف غيرها؟! أو لو شاء لأعماهم، وتعذر عليهم الاستباق في الطريق المألوف على عادتهم. وما قيل: لم يخلفوا تلك

---

(١) الصواب أن جوارحه تنطق على الحقيقة، يدل عليه ما أخرجه مسلم في صحيحه: (كتاب: الزهد والرقائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، حديث: ٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه: ((**ثم يقال له: الآن نبعث شاهدًا عليك، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه وعظامه انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه**)).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/٢٤).

(٣) رواها عبد الرحمن بن محمد بن طلحة عن أبيه عن جده. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

(٤) أي: (ولْتكلِّمْنا... ولْتشهدْ)، عن ابن أبي عبلة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٣).

(٥) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/٢٨).

(٦) في (ح، ج): (الحصر).

(٧) في الأصل و(أ، ب، ج، د): (ممسوخة)، وفي (ح، ن): (ممسوحة)، ولعله الأنسب للسياق.

الطريق على عادة العميان، بل قدروا عليها دون غيرها، غير ملائم؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ كأن المقصود من استبعاد الإبصار استبعاد الاهتداء، ونصب الصراط إما بحذف إلى وإيصال الفعل إليه أو تضمين معنى الابتدال[(١)]، أو يكون مسبوقًا، فيكون مفعولًا به لا مسبوقًا إليه، أو على الطرق، وقيل: التقدير: أنى يُبصرون وقد أعميناهم أو عن الهدى فلا يبصرون طريق الرشاد، ولو نشاء لغيرنا صورهم، وأبطلنا قواهم على مكانهم.

والمكانة والمكان كالمقامة والمقام، وقرئ بالجمع[(٢)].

والمسخ بجعلهم قردة وخنازير، أو الحجارة، والأول يناسب نفي الاستطاعة على الذهاب والرجوع، والأصل ولا رجوعًا، فعدل إلى الفعل للفواصل، أو لا يرجعون عن تكذيبهم.

ويقرأ بكسر الميم، إتباعًا للضاد[(٣)]؛ لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيًا كصبي.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

وجه الربط أنه قد سبق أن من عادته سبحانه أنه يضم ذكر الرسالة إلى الوحدانية والحشر، وهما مستفادان من قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾، وأصلها فأشار إلى كونه نبيًا أن القرآن معجز ليس من قبيل الشعر كما قالوه، فهو رد لقولهم: إنه شاعر؛ لأن كلامه ليس بمقفى ولا موزون، حتى استشهد عليه السلام ببيت أخي قيس فقال: ((**ويأتيك من لم تزود بالأخبار**))، فقال أبوبكر رضي الله عنه: إنما هو: بالأخبار من لم تزود، فقال عليه السلام: ((**ما علمت الشعر، وما ينبغي لي**))[(٤)]، ولا معناه من التخييلات المدعية في الصورة المستحسنة، ولا المنفرة

---

(١) في (د): (الابتذال).

(٢) أي: (مكاناتهم)، وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر . ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٢).

(٣) الأنطاكي عن الكسائي. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٤٥)، وابن جرير في تفسيره (١٩/٤٨٠)، من طريق قتادة =

المنفرة كما هو عادة الشعراء، ومعنى ﴿مَايَنۢبَغِى﴾[1] أنه لا يصلح له الشعر، ولا يَتأتّى له لو أراد أن يأتي به، كما عَلِمتم من طبعه قريبًا من أربعين سنة. ونحو: ((**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**))[2]، و((**هل أنت إلا أصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت**))[3]، وكل ما صدر على وجه الاتفاق لا القصد لا يقدح فيه؛ فإنه كثيرًا ما يقع في المنثورات أمثالها.

هذا وإن الخليل[4] ما عدّ المشطور من الشعر.

وقال آخرون: كل هذا رجز وليس بشعر، والراجز غير الشاعر. وديوان رؤبة والعجاج[5] كله رجز، وليس فيه بيت شعر.

وأيضًا قوله ﷺ: ((**إن من الشعر لحكمة**))[6] إشارة إلى أنه قد يقصد الشاعر قول الشعر، فيقع في كلامه معنى حكمي كما في صورة العكس.

= قال: بلغني أنه قيل لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، يجعل آخره أوله وأوله آخره ... وذكر الحديث. وهذا إسناد منقطع، لا تُدرى الواسطة بين قتادة وعائشة رضي الله عنها.

(١) هكذا وردت في جميع النسخ بدون واو.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر (٢٧٧٢)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين (١٧٧٦)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من ينكب في سبيل الله (٢٦٤٨)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (١٧٩٦)، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٤) هو: الإمام صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، أحد الأعلام، ولد سنة مئة، ومات سنة بضع وستين ومئة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومئة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/٤٣٠).

(٥) كذا في جميع النسخ، والظاهر أنه تصحيف من النساخ، صوابه: رؤبة العجاج، بدون واو العطف.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (٥٧٩٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقيل: الضمير للقرآن، أي: ما يصح للقرآن أن يكون شعرًا ويلائمه، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ليس القرآن إلّا ذكر من الله ووعظ وكتاب [٧٤٨/أ] مقروء من عند الله، يتقرب إلى الله بقراءته في الصلاة وغيرها، ويتدبر المتأمل في معانيه، فيدرك منه مباحث الأصول والفروع والسياسات والأخلاق الفاضلة وعامة أسباب الكمال من غير تعسف وتكلف؛ لظهور دلالته.

و﴿لِيُنذِرَ﴾ علة الإنزال أو الإرسال (١)، أي: القرآن أو الرسول من كان عاقلًا؛ لأن غيره كالميت حيث لا يُدْرِك، أو يكون حيًا في علم الله، بمعنى أنه سيؤمن؛ لأن الكافر كالميت.

فإن قيل: لم خص الإنذار من دون جميع فوائد الرسول والقرآن؟!

قلنا: لأن من لم يَلتفت إليه لا يبالي بغيره، فإنه أهم، والنفس منه أشد انفعالًا، وحيث انتفع بالإنذار تأمل وأدرك ما عداه، وحقية القول أن تجب كلمة العذاب على الكافرين، ولعل العدول دون من كان ميتًا للإشارة إلى الميت بالمعنى المذكور ينذر به، ولكن حيث لا يتعظ يكون كافرًا، فوجوب كلمة العذاب معلل بكفره.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

هذا يؤكد أمر التوحيد المستفاد من منع عبادة الشيطان باعتبار استحقاق العبودية وانفراده بها؛ لكمال القدرة المقتضية للألوهية والإنعام العام، وتخصيص العمل بالأيدي لبيان أنه سبحانه هو المتولي للإيجاد حيث لا يقدر عليه غيره، وشبه بعمل من يعمل بيده لمشابهة الاختصاص، والتعبير عن النفس باليد لأن معظم الأعمال بها، وتخصيص الأنعام لما فيها من بدائع الحكمة وغرائب القدرة في أنفسها وصفاتها وكيفية تمكن الإنسان من الانتفاع بها، مع كونها في غاية القوة والوحشة والمدافعة بسبب تذليله سبحانه إياها؛ ولهذا نبه عليه بأن يقول

---

(١) في (ح): (والإرسال).

الراكب: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، ثم إنا خلقناها لهم فملكناها إياهم لينتفعوا بها انتفاع المُلاَّك، من غير مزاحمة الغير، أو المراد أنهم ضابطون لها، كقوله: أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا أي: لا أقدر على ضبطه، ويناسب ما قيل في وجه التذليل:

يُصَرِّفه الصبيُّ بكلِّ وجهٍ ويحبسُهُ على الخسفِ الجرير
ويضربُهُ[1] الوليدةُ بالهَرَاوَى فلا غِيَرٌ لديهِ ولا نَكِير

وذلك بالتذليل؛ إذ المعنى: صيرناها منقادة لهم والركوب المركوب، ويُقرأ: ﴿رُكُوبَتهم﴾[2]، وهي بمعناه كالحلوت والحلوم [3] وقيل: هي جمعه، ويُقرأ ﴿رُكُوبهم﴾[4]، أي: من منافعها رُكوبهم، أو ذو رُكوبهم، وأكل لحومها من جملة المنافع العظيمة والمنافع الأُخر ما يتخذ من جلودها وصوفها ووبرها كما قال تعالى: ﴿أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

﴿وَمَشَارِبُ﴾ جمع مشرب، ويحتمل الموضع، والمصدر، أي: شرب ألبانها، وكيف لا يشكر خالقها ومذللها ولولا إنعامه بها بالوجود أولًا وبالتذليل ثانيًا لفات هذه الفوائد التي من جملتها نقل الأنفس والأحمال إلى البلاد الشاسعة، وفتحها وتخليصها من أيدي الكفرة، إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)﴾

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي أنوار التنزيل: (وتضربه).

(٢) عن عائشة وأبيّ. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٣).

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولعله تحريف من النساخ، ففي أنوار التنزيل: (كالحلوب والحلوبة).

(٤) عن الحسن وأبي البرهسم. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٦)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٣).

تعقيب هذا الكلام ما تقدم من رؤية الأمور الدالة على اختصاص الباري سبحانه على نصرهم أشنع عليهم حيث اعتقدوا أن تلك الأصنام تنصرهم إذا حزبهم [1] إما في الدنيا أو في الآخرة بالشفاعة، والأمر على خلاف ذلك؛ فإنهم يخدمونها ويغضبون لها، وهي جمادات لا قدرة لها على النصر، فالكفرة جند الأصنام، والناصرون لها، وفي الآخرة يحضر الأصنام لزيادة عذابهم، حيث هم وقود النار، فلا يهمنك قولهم في التكذيب والإيذاء، فإنا نعلم ما يسرون من العداوة وما يظهرونها، فنجازيهم عليها، فينبغي أن تتسلى بهذا، ولا تحزن، مع ما نعلم حالك وحالهم في الآخرة.

فإن قيل: مقتضى هذا التقرير الذي قالوه أن يكون أصل الكلام: إنا نعلم ما يسرون فلا يحزنك، وهو خلاف الأصل، فهل لترتبه على الكلام الأول وجه في السببية؟!

قلنا: نعم؛ لأنّه لمَّا [2] ثبت أن اتخاذهم للآلهة لا ينفعهم، وأنهم بمعزل من الإنسانية، وأن مآلهم إلى الشقاء الدائم، فمثل هؤلاء لا يبالى بقولهم من هذين الوجهين.

ويُقرأ: ﴿يُحزِنك﴾ من أَحزَن [3]، ويُقرأ: ﴿أَنَّا﴾ بالفتح، ويكون على حذف لام التعليل[4]، مثل: لبيك أن الحمد، فيمن فتح، والحزن على كون الله عالمًا بسرهم وعلنهم لا يختص بقراءة الفتح، بل يتصور مع الكسر، ولا يخفى أن النهي يحتاج إلى التأويل، كما في: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] من التهييج ونهي الغير لدفع إيهام الباطل.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ولعل هناك كلمة ساقطة هي: (أمر)، ففي أنوار التنزيل: (أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور).

(٢) في (أ، ب، ح، ج، د): (ما).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/٢٩).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/٢٩).

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

في ترتيب(١) كون الإنسان مبالغًا في الخصام [٧٤٨/ب] على تذكره كونه من أخس الأشياء وأمهنها وأنه سبحانه جعله شريفًا مكرمًا لما أعطاه من القوى الفاضلة التي بها ناسب الملائكة، ويكون منطيقًا جدلًا بارعًا لسنًا.

وقيل: هو صفة ذم، فإنه استعمل هذه القوة في مخاصمة الله ونبيه، فإنه يتضمن جحود القدرة ومقابلة النعمة بالكفران، بل يصير شديد الخصومة مع إله العالم، مع ذلك الأصل الخسيس، ففي الكلام تعجيب بالغ، وتسلية بليغة للنبي ﷺ.

ثم إنَّه ضرب للخالق مثلًا بأن ذكر أمرًا عجيبًا، كالمثل في الغرابة، أعني: إنكار القدرة على الإعادة، حيث نفى القدرة على إحياء الموتى، وسوى بين الله وبين خلقه في العجز عن ذلك، فقال: من يحيي العظام وقد بليت؟! على وجه الإنكار، والاستبعاد.

و﴿ رَمِيمٌ ﴾ فعيل بمعنى فاعل، من رَمَّ الشيء صار رميمًا؛ ولذلك لم يؤنث، أو من رممته فهو بمعنى المفعول(٢)، وفي الآية دليل على أن العظم ذو حياة، فيؤثر فيه الموت كغيره من الأعضاء، وما قالت الحنفية: إن المراد ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة مع كونه خلاف الظاهر اعتراف بما قلناه.

---

(١) في (ح): (ترتب).

(٢) الرَّم: إصلاح الشيء البالي، والرِّمة للعظم البالي، والرُّمَّة: الحبل البالي، والرِّم: الفتات من الخشب والتبن، وأَرَمَّتْ عظامه: إذا سُحقت حتى إذا نُفخ فيها لم يُسمع لها دوي. ينظر: المفردات مادة: رَمَّ.

روي أن طائفة من كفرة قريش تكلموا في الإنكار، فأخذ أُبي بن خلف [(١)] عظمًا باليًا، وجعل يفتته ويقول: يا محمد، أترى الله يحيي هذه بعدما رَمَّ، وزعم أنه يغلب النبي عليه السلام بذلك الاستبعاد الباطل، فإنّ غاية ما في الباب أنه إنشاء حَيٍّ [(٢)] من فُتَت، وقد كان هو كذلك من قبل كما نبه عليه بقوله: ﴿أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فقال النبي ﷺ: ((**نعم، يبعثك، ويدخلك جهنم**))[(٣)].

وهذه الزيادة على الجواب لعلها من قوله سبحانه: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٨].

وكونه سبحانه عليمًا بكل ما يخلق من تتمة الدليل؛ فإن القدرة على الإنشاء أولًا دليل على أن المادة على القابلية اللازمة لها، فإنها لو كانت ممتنعة لذاتها لما قبلت أولًا، والقدرة نافية لاستحالة التغيير فيها. نعم، يحتاج إلى العلم بأجزاء كل شخص حيث تبددت وتفرقت، فبيّن أنه سبحانه عالم بتفاصيل المخلوقات المنشآت والمعادات التي هي من جملتها، فيعلم مواقعها، وتميز بين أصولها التي هي متعلق الحياة، دون ما لحقها من الزوائد؛ لئلا يشكل بأن يأكل إنسان إنسانًا، فإن المعاد من كل أجزائه الأصلية، وكذلك يعلم القوى المتعلقة بها فيعيدها كما كانت، قال تعالى في وصف غيره: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

---

(١) هو: أُبَيّ بن خلف بن وهب الجمحي القرشي، أحد رؤوس الكفر، كان شديد العداوة للنبي ﷺ، رماه النبي ﷺ يوم أحد بحربة فسقط عن فرسه، واحتمل ومات بسرف. ينظر: أنساب الأشراف (٣/٣٧٣).

(٢) في (ج): (إن شاء حيي).

(٣) أخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، كما في الدر المنثور (١٢/ ٣٨٠).

دليل آخر على صحة الحشر؛ فإنّ من قدر على إخراج النار من الشجر الأخضر مع أن المائية مضادة للنارية بكيفيتها، كان قادرًا على إعادة الغضاضة [1] كما كان [2] غضًا فيبس، والمراد بالشجر: المرخ [3] والعفار [4]، يُقال: الأول ذكر، والثاني أُنثى، تسحق الذكر على الأنثى، وهما يقطران ماء، فيخرج منهما النار، ويُقال: في كل شجر نار إلا العُنَّاب [5]، وفي المثل: في كل شجر نار واستمجد [6] المرخ والعَفَار. وذكر الإيقاد لتحقيق أمر النار به.

ووجه رد الاستبعاد أن الإنسان جسم فيه حياة سارية، وهي حرارة جارية فيه، فكيف يستبعد وفي الشجر الأخضر نار؟! ويُقرأ: ﴿الشجر الخضراء﴾ [7]، كقوله تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ [8] [الواقعة: ٥٣] نظرًا إلى المعنى.

---

(١) في (ح): (العظام).

(٢) في (ح، د): (قال)، وفي (ج): (قال كان).

(٣) المَرْخ: من شجر النار، وهو نبت ينفرش ويطول في السماء حتى يستظل فيه، وليس له ورق ولا شوك، وعيدانه سَلِبَة وقضبانه دِقَاق، وهو ينبت في الشعاب، ومنه يكون الزناد الذي يقدح به، واحدته مرخة. ينظر: لسان العرب، مادة: مَرَخَ.

(٤) العَفَار: واحدته عَفَارة، وهي شجرة صغيرة لها نَور، يكون من أغصانها الزناد فيُقتَدح به. ينظر: لسان العرب، مادة: عَفَرَ.

(٥) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٤) عن الكلبي، وعزاه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٣) لابن عباس رضي الله عنهما. والعُنَّاب: واحدته عُنَّابة، يقال له السَنْجَلان بلغة الفرس، وهو من أقل الشجر نارًا. ينظر: العين للخليل، لسان العرب، مادة: عَنَب.

(٦) استمجد: أي: كثر فيهما لأنهما من أكثر الشجر نارًا، وزنادهما أسرع الزناد اشتعالًا، وهو مثل يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض، وبعض الرجال على بعض، من قولهم: أمجدت الدابة علفًا إذا أكثرت منه. ينظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١/ ١٧٣)، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢/ ١٨٣).

(٧) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣١).

(٨) قال الزمخشري: ونحو قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ
=

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾

أي: من قدر على خلقهما [1] مع عظمهما وما فيهما من بدائع وصنائع عجيبة وآثار غريبة وفوائد لا يحصيها عدّ، قدر على خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الآية [غافر: ٥٧]، والمراد بالمثل إما في الصغر والحقارة بالنسبة إلى السماوات والأرض، أو في أصولها وصفاتها وهو المعاد.

وقرأ يعقوب: ﴿ يَقدِرُ ﴾[2].

﴿ بَلَىٰ ﴾: جواب من الله للإشعار بأنه لا جواب سواه، أجابوا أو سكتوا. وقيل: يقولون: بلى.

و﴿ ٱلْخَلَّٰقُ ﴾ كثير المخلوقات فيتناولها وغيرها، ويُقرأ: ﴿ الخَالِقُ ﴾[3]، وهو كثير العلم لكثرة متعلقاته.

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

أي: ليس شأن الله تعالى في الإيجاد إلا أن يقول لما يريد وجوده أن يقول: تَكوَّن[4] أي: احدث، فيحدث، وأنه كائن إليه، وهو تمثيل لتأثير القدرة فيما تعلقت الإرادة بوجوده بأمر

= ﴿ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٢-٥٤].

(١) في الأصل و(أ، ب، د): (خلقها)، وفي (ح، ج، ن): (خلقهما)، وهو الأنسب للسياق.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٣).

(٣) عن الحسن ويعقوب. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٣).

(٤) في (ب): (كن فيكون).

المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف، وعدم الحاجة إلى محاولة عمل واستعمال آلة، وفائدته قطع مواد الشبه في قياس قدرة الله سبحانه على قدرة غيره.

وقرئ: ﴿يَكُونَ﴾ بالنصب[1]، عطفًا على ﴿يَقُولَ﴾، وأما الرفع فلأن التقدير: فهو يكون، عطفًا على مثلها، وهو أمره، والجملة مبتدأ وخبر، وذكر التسبيح هنا لبيان التنزيه عما قاله الكفرة، وتعجب عنه، ومما قاله فإنه إذا كان مالكًا للملك كله قادرًا عليه فكيف يمتنع عليه إعادته.

والملكوت مبالغة في الملك، كالرحموت والرهبوت. وفي ﴿تُرْجَعُونَ﴾، وقرأ يعقوب بفتح التاء[2]، وعدٌ لمن آمن بالله، ووعيد للمنكرين.

لذلك وحيث تبيَّن أنه تمثيل بطل تمسك المعتزلة بها على أن المعدوم شيء، فإنهم قالوا: سمَّى الله ما لم يوجد بعد شيئًا، والآية تدل على أنه شيء حين تعلقت الإرادة به، ولا تدل على أنه شيء قبل ذلك والكلام فيه، والله أعلم.

---

(١) هي قراءة ابن عامر والكسائي. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٣).

(٢) ذكرها ابن حيان، ونسبها لزيد بن علي. ينظر: البحر المحيط (٩/٨٥).